تمهيد

مستقبل الثقافة العلمية فى مصر

«دعوة للحوار»

تذكر الجماعة الثقافية المصرية والعربية بالتقدير رائعة عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين، المعنونة «مستقبل الثقافة فى مصر». ولم يكن مستغربا أن يركز فيها على التعليم، وهو الرائد الذى ارتبط اسمه بالدعوة إلى إتاحة التعليم لأبناء الوطن. حينئذ وجد عميدنا أن الانفتاح الثقافى المطلوب دائمًا، يمكن أن يجعل مصر تتطلع إلى البحرمتوسطية. وهى رؤية مختلفة تمامًا عن الشرق متوسطية المطروحة الآن، وإن كنا لا نستهدف فى هذه الكراسة نقد ما لها وما عليها. عمومًا، نرى أن العالم قد تغير كثيرًا، وأن الفضاء الثقافى الوحيد المطروح هو العولمة أو الكوكبية globalization. وتعبيرًا عن تقديرنا للعميد ودعوته، فقد استهلمنا عنوانه، وتجاوزنا المضمون مع

التقدير والاحترام والاعتراف بفضل الريادة. وإذا كنا نحاول أن نتطلع إلى ما هو أبعد من رؤية أساتذتنا العظام، فذلك لأننا نبنى على ما أنجزوه ونقف على أكتافهم، كما قال اسحق نيوتن.

إننا ندعو هنا إلى الحوار حول «مستقبل الثقافة العلمية فى مصر»، لأننا نستشعر بحق أهمية أن يكون مجتمعنا أكثر علمية فى إدارة شئونه على مختلف المستويات، الفردية والجماعية والمؤسسية والقومية. وإذا كان الدكتور طه حسين قد وجد بفكره الثاقب أن الحديث عن مستقبل الثقافة يجب أن يتمحور بشكل خاص حول التعليم، فإن الحديث عن مستقبل الثقافة العلمية يتطرق حتما إلى ثلاثية «العلم – التعليم – الإعلام». ويحضرنى هنا حوار قديم دار بينى وبين الراحل العزيز سامى خشبة، هذا المثقف الموسوعى والناقد المتميز، الذى كان من أوائل من جعل الصفحة التى أشرف عليها فى جريدة الأهرام لسنوات عديدة، منبرًا للثقافة العلمية، من منطلق اقتناعه بأن

العلم يجب أن يدخل فى نسيج ثقافتنا، بجانب الأدب والفن، مع الاعتراف الكامل بأهميتهما، وهما نبع الإبداع فى حياة البشر. كنت أقول له أن لغتنا الجميلة تتميز عن كل ما نعرفه من لغات بجذر ثلاثى أسميته «جذر الخلاص». هذا الجذر «ع ل م» نشتق منه كلمات علم وتعليم وإعلام، وكل ما يتصل بها من معلم ومتعلم ومعلوماتية... إلخ. وأرجو أن يصححنى علماء اللغة فى ذلك. قال لى أكتب هذه الفكرة، ونشرها فورًا. وأنا أدعو القارئ إلى استرجاع كلمات «علم وتعليم وإعلام» فى كل ما يعرفه من لغات غير العربية، ليرى أن جذورها مختلفة. لكن علينا أن نعترف أننا لم نستفد من ذلك كثيرًا، رغم أن ثقافتنا تحمل تقديرًا إيمانيا عن تعلم العلم تعليمه ولمن يترك علمًا ينتفع به.

وإذا كنا نرى أن مستقبل الثقافة العلمية يتسع إلى ما هو أكثر من التعليم، فلابد وأن نذكر لطه حسين إدراكه العميق لأهمية العلم. ولنتوقف طويلاً أمام مناظرة رائعة خطط لها مع

عميد آخر، هو الدكتور على مصطفى مشرفة. هذه المناظرة جمعت بين عميد الأدباء وعميد العلماء، وجرت أمام حشد من طلاب جامعة القاهرة. إننى ألخص هنا فحواها، رغم أنها تستحق أن نتعلم من نصها الكامل الذى لم أعثر عليه. وقف عميد الأدباء يدافع عن أهمية العلم، ويعلى من قدره، مؤكدًا أن لدينا ما يكفى من الأدب ونحتاج إلى كثير من العلم. وفى رده العبقرى المخطط، كما أؤكد، انبرى عميد العلماء ليؤكد أهمية الأدب فى الارتقاء بروح الشعوب، وتخفيف الطابع المادى لمن يهتمون بالعلم ويهملون الأدب. لقد كانت المناظرة درسًا رائعًا ورائدًا فى وحدة المعرفة وتكاملها، استفاد منه طلاب الجامعة. ولعل هذا الدرس كان وراء تميز الكثير منهم، لأنهم تتلمذوا على أيدى رواد مثل طه حسين ومشرفة.

لقد كانت المناظرة المذكورة سابقة أو مواكبة لدعوة جى بى سنو إلى تجسير الفجوة بين الثقافتين، ثقافة العلم وثقافة الأدب، حيث لاحظ الجفوة بين أبناء الثقافتين، وأشار إلى

أهمية التكامل المعرفى. كما تحضرنى هنا صرخة جبران خليل جبران، الذى أدرك أن الفجوة العلمية تؤدى إلى فجوة تكنولوجية كبيرة، فقال ما معناه «خذوا ما لدينا من فلسفات، فنحن فى حاجة إلى طيارات»!!! ومن منا لا يذكر صرخة الشعر «بالعلم والمال بين الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال». وها نحن نطالب حتى الآن بالاهتمام بتمويل العلم فى بلاد العرب. رحم الله هؤلاء الرواد العظام، الذين نقف اليوم على اكتافهم لنتحاور حول مستقبل الثقافة العلمية.

ولأن الحديث عن الثقافة العلمية يجب أن يتسم «بالعلمية»، وأن يتمسك بالموضوعية والمنهجية، دعونا نبدأ بتحديد عناصر الدعوة إلى الحوار:

- أهمية الثقافة العلمية بين القناعة الإنطباعية والقناعة التحليلية.
- تحليل SWOT لواقع الثقافة العلمية فى مصر: مقاربة أولية.

- الأهداف الواقعية للثقافة العلمية: رؤية نقدية.
- تجارب من الشرق والغرب: مشروع ٢٠٦١ الأمريكى – تجربة الهند – صحوة الصين.
- هل صارت الاستراتيجية حلما مراوغًا؟
- من هنا نبدأ: ضبط الجودة!!!